مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية

المجلد 11 / العدد: 02 (2021)، ص 1148 -1157

المحاريب بالمغرب الأوسط في الفترة الوسيطة

Mihrabs in the middle Maghreb in the middle ages

د/بوقزولة عبد المالك*[1]

[1] جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، abdelmalek.boukazoula@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/09/24 تاريخ القبول: 2021/01/13 تاريخ النشر: 2021/12/28

ملخص:

وصلت الحضارة الإسلامية الى درجة كبيرة من التطور والازدهار في شتى المجالات وخاصة في مجال العمارة الإسلامية فقد تعددت وظائف العناصر المعمارية في العمارة بصفة عامة والإسلامية على وجه الخصوص حيث كانت وظائف تخص الجانب الدعمي لتقوية المبنى ووظائف تخص الجانب الجمالي فكانت العمارة بأنواعها الدينية والمدنية والعسكرية تؤدي دورها المنوط بها دون إهمال الشكل الجمالي لها ودون نسيان تكييف هذه العناصر المعمارية التي أولى لها عناية كبيرة في العمارة الدينية وخاصة في عمارة المساجد فنجد العنصر المعماري المحراب الذي أولاه اهتمام كبير كونه المكان الأول في بيت الصلاة ولمكانته في قلوب المسلمين ▪

كلمات مفتاحية: بيت الصلاة ،الحضارة الإسلامية، العمارة الإسلامية، العمارة الدينية ، العناصر المعمارية ،.المحاريب

Abstract:

Muslim civilization has known a high degree of development and progress in many fields especially in the Islamic architecture. Generally, architecture had a function elements that concern solidity and art. The architecture ; wether religious, civil or military completes its role without forgetting the beauty side. Solidity and beauty were bothe taken into consideration particularly in mosques that contain Mihrabs (corner where the Imam stands up). In fact, the Mihrab had a great spiritual value for Mulims because it is the main place in the prayer houses.

* **المؤلف المرسل:** بوقزولة عبد المالك ، **الإيميل:** abdelmalek.boukazoula@univ-msila.dz

Keywords:. architectural elements, Islamic architecture, Islamic civilization, middle age,Middle Maghreb.Mihrabs,prayer houses.

Résumé :

La civilisation musulmane parvient à un degré très haut de développement et de progrès dans tous les domaines, en particulier en l'architecture islamique. L'architectureavait,en général, des éléments architecturaux qui ont des fonctions et surtout dans l'architecture islamique ; c'est-à-dire le côté de solidité et celui artistique. Ainsi, l'architecture civile, militaire ou religieuse faisait vraiment son rôle sans oublier le côté artistique. La solidité et la beauté étaient prises en considération s'agissant de l'architecture religieuse où les Mosquée disposent de Mihrâb (coin où prie l'Imâm). En effet, le Mihrâb avait une importance spirituelle pour les musulmans car c'est l'essentiel dans toutes les Mosquées.

Mots clés : éléments architecturaux ,l'architecture islamique ,la civilisation musulmane ,les Mihrâbs, maison de prière ,moyen Maghreb.

مقدمة:

لقد تعددت وظائف العناصر المعمارية في فن العمارة بصفة عامة والإسلامية على وجه الخصوص، حيث لم يقتصر دور هذه العناصر على الجانب الدعمي لتقوية المبنى وتدعيم مختلف أجزائه وعناصره، كما لم يقتصر استعمالها أيضا كوسائل دعم وعناصر تقوية وتمتين لمختلف وحدات المسجد، وإنما تجاوز دوره ذلك الإجراء التقليدي الذي أنشئت أساسا لأجله، إلى دور آخر يكتسي أهمية بالغة في الفن المعماري، ألا وهو الجانب الجمالي، ذلك أن الفنان المسلم كغيره من الفنانين، لم يكن ليعتني بالجانب المعماري على حساب الجانب الجمالي في مختلف أعماله الفنية، وإنما كان يولي أهمية كبيرة إلى جمالية الشيء، من دون نسيان عامل آخر يتمثل في تكييف مختلف العناصر المعمارية وفق منظور شرعي وبيئي، حيث نجد من هذه العناصر المحراب، و الذي رغم ما قيل عن تاريخ ظهوره، و الحكم الشرعي في إحداثه، إلا أن الفنان و المعماري المسلم أبدع في زخرفته ليكون المكان الذي يتصدر بيت و الصلاة و هذا ما سوف نراه في هذه المقالة.

1- تعرف المحراب لغة:

هو صدر البيت، وأكرم موضع فيه، و الجمع محاريب، وأصطلح على المكان الذي يحدد اتجاه المسلمون إلى القبلة حين يجتمعون للصلاة بلفظة محراب، و هو كوة في الحائط تعلوها نصف قبة، فالمحراب دائما يكون متجها للقبلة، و هو محل الإمام من المسجد و تكبيره و ركوعه و سجوده ليأتم به المصلون.

و لفظة المحراب مأخوذة من شبه الجزيرة العربية، ووردت في الشعر الجاهلي حيث يقول وضاح اليمن:

ربة محراب، إذا جئته لم ألقها، أو أرتقي سلما .

و أنشد الأزهري قول امرىء القيس: كغزلان رمل في محاريب أقوال. (ابن منظور ،2003،ص.336)

كما ورد ذكر مصطلح المحراب في القرآن في آيات كثيرة فسرها و شرحها كثير من علماء التفسير منهم ابن كثير في كتابه **تفسير القرآن الكريم** و هي:

- يقول الله عز وجل في كتابه المنير: ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم... ﴾ (القرآن الكريم ، سورة ص، الاية 21-22)، و يقول ابن كثير في تفسيره: " إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه، و هو أشرف مكان في داره، و كان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين، قد تسورا عليه المحراب، أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما " (ابن كثير ،2009،ص.47)

- و يقول الله عز وجل كذلك: ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب.... ﴾ (القرآن الكريم ، سورة ال عمران، الاية 37) ، و المحراب هنا مكان أو محل عبادة مريم عليها السلام لله رب العالمين.

- و قوله سبحانه و تعالى: ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب.... ﴾ (القرآن الكريم ، سورة ال عمران، الاية 39) ، أي خاطبته الملائكة شفاها خطابا، أسمعته و هو قائم يصلي في محراب عبادته و محل خلوته و مجلس مناجاته و صلاته.

- و قوله سبحانه و تعالى: ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ (القرآن الكريم ، سورة مريم، الاية 11) ، حبس لسان النبي زكريا و انقطع عن الناس لا يكلمهم و شغل نفسه بعبادة الله في محرابه ثلاث ليالي و أيامهن ثم خرج عليهم من المحراب. (ابن كثير ،2009،ص.165)

و المحراب عند العامة: الذي يقيمه الناس اليوم مقام الإمام في المسجد، وقال الزجاج في قول الله تعالى ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾، قال: " المحراب أرفع بيت في الدار، و أرفع مكان في المسجد. قال: و المحراب هاهنا كالغرفة، و أنشد بيت وضاح اليمن، وفي حديث: أن النبي صلى الله عليه و سلم، بعث عروة بن مسعود، رضي الله عنه، إلى قومه بالطائف، فأتاهم و دخل محرابا له، فأشرف عليهم عند الفجر، ثم أذن للصلاة. قال: هذا يدل على أنه غرفة يرقى إليها ". (مؤنس ،1981،ص.73)

و المحاريب هي صدور المجالس، ومنه سمي محراب المسجد، و منه محاريب غمدان باليمن. ومحراب قبلة. و محراب المسجد أيضا صدره وأشرف موضع فيه. و محاريب بني إسرائيل: مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها، و يجتمعون فيها للصلاة. وفي حديث أنس، رضي الله عنه، أنه كان يكره المحاريب، أي لم يكن يحب أن يجلس في صدر المجلس، و يترفع على الناس، و قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾، و قوله سبحانه و تعالى: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾، قال المفسرون يقصد هنا المسجد، و مكان العبادة و محل الخلوة و مجلس المناجاة و الصلاة، و محراب أكرم مجالس الملوك، و قال أبو عبيدة: المحراب سيد المجال و مقدمها و أشرفها.

و قال الأصمعي: " العرب تسمي القصر محرابا، لشرفه. و قال: دخلت محرابا من محاريب حيمر، فنفح في وجهي ريح المسك، و المحراب الموضع الذي ينفرد فيه الملك، فيتباعد من الناس، قال الأزهري: وسمي محراب محرابا لإنفراد الإمام فيه، و بعده عن الناس، و قيل سمي المحراب محرابا لأن الإمام إذا قام فيه، لم يأمن أن يلحن، أو يخطى، فهو خائف مكانا كأنه مأوى الأسد، ومن ثم يقال المحراب مأوى الأسد، يقال: دخل فلان على الأسد في محرابه، و غيله و عرينه، وقال ابن الأعرابي: المحراب مجلس الناس و مجتمعهم. و يقال محراب المصلي مأخوذ من المحاربة لأن المصلي يحارب الشيطان و يحارب نفسه بإحضار قلبه". (الطريحي،1986،ص.60)

2- التعريف الاصطلاحي:

يعرف في اصطلاح اليوم بالقبلة، وهي الحنية المجوفة التي تكون في حائط المسجد لجهة القبلة المخصصة للإمام أثناء الصلاة.

و القبلة هي صدر المسجد، و هي جداره المتجه نحو الكعبة، فإذا صلى الناس تجاهها كانت وجوههم ناظرة إلى بيت الله في البلد الحرام. و كانت قبلة مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم الأولى ناحية بيت المقدس، ثم حولها سبحانه و تعالى تجاه الكعبة فتحولت في مسجد الرسول من الشمال إلى الجنوب. وقد صلى المسلمون في صدر يوم صرف القبلة إلى بيت المقدس، ثم نزلت آيات صرفها فصلى الناس نحو مكة في آخره (15 رجب سنة 2 هـ / 624م)، ويبالغ من يقول أن الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة عليهم الرضوان صلوا إلى القبلتين في نفس الصلاة، حيث صلوا ركعتين، ثم نزلت الآية فصلوا الركعتين الأخريين إلى القبلة الأخرى. وهذا التحليل ليس له معنى، فإن الوحي ما كان ليقطع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يؤم الناس ليبلغه صرف القبلة، وكذلك كيف يتحول المصلين من الشمال إلى الجنوب في صلاتهم دورة كاملة، ومن ثم يصبح الإمام خلف المصلين. و تشير معظم كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه و سلم صلى الظهر إلى بيت المقدس، أما صلاة العصر فصلها إلى الكعبة و هذا هو الأصل و القول الصحيح و الله أعلم. (مؤنس ،1981،ص.70)

3 - التأصيل التاريخي لظهور المحراب في عمارة المساجد:

تذكر المصادر التاريخية أن أول من اتخذ المحراب هو الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، حيث لم يكن في المسجد النبوي محرابا في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، (السيوطي،1990،ص.14)

و يمكن القول أن المحراب كان متخذا قبل هذا التاريخ إلا أنه طور أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله، و ذكر ابن بطوطة أن عثمان بن عفان رحمه الله هو الذي وضع المحراب لمسجد المدينة وأشار كذلك: " أنه قيل أن عبد الملك بن مروان رحمه الله هو أول من بنى المحراب، وقيل عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خلافة الوليد بن عبد الملك..."، أما المقدسي الذي عاش في منتصف القرن الرابع الهجري قال: " أنه لما تولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بناء مسجد المدينة وبلغ هدم المحراب دعا بمشايخ المهاجرين و الأنصار فقال: احضروا بنيان قبلتكم، لا تقلوا غيرها عمر ". (المقدسي،ت990،ص.8).

و يذكر الإمام السيوطي رحمه الله أن المحاريب ظهرت في أول المائة الثانية للهجرة: "...لأن قوما خفي عليهم كون المحراب بدعة، و ظنوا أنه كان في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم في زمنه، و لم يكن في زمانه قط محراب، و لا في زمان الخلفاء الأربعة، فمن بعدهم إلى آخر المائة الأولى، و إنما حدث في أول المائة الثانية مع ورود الحديث بالنهي عن اتخاذه، و أنه من شأن الكنائس (الشافعي،1970،ص.167) ، و أن اتخاذه في المساجد من أشراط الساعة. قال البيهقي في السنن الكبرى: باب في **كيفية بناء المساجد** ...عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **اتقوا هذه المذابح**، يعني المحاريب". (السيوطي،1990،ص.14)

أما محراب جامع القيروان فقد أجمع المؤرخون على أنه في سنة (50 هـ/ 670 م) خط عقبة بن نافع مسجد القيروان ورسم مكان القبلة منه، وأقام محرابه فيه، و أن هذا المحراب ظل طوال السنين موضع إجلال القوم و تقديسهم فلم يمسه أحد منهم بسوء. و لما أراد زيادة الله بن الأغلب هدمه و ألح على ذلك لم يجبه و حيل بينه و بين هدم. و شكل محراب مسجد القيروان مقوس و هو بذلك يختلف على جل المحاريب المغرب الإسلامي التي نراها مضلعة، وبالتالي هو أقدم محراب مجوف أدخل على المساجد (البكري ،1857،ص.23)

ولقد كثرت التأويلات في أصل هذه الحنية المجوفة في حائط القبلة، فمنهم من يرجح أنها اقتبست من المعابد الهندية ومنهم من يرجعها إلى أصل يهودي، والأكثر منهم ينسبها إلى أصل مسيحي بحيث نقلت من الكنائس القبطية بمصر .*(sabag,1963,p.66)*

4 - أهمية المحراب في عمارة المساجد:

يذكر ابن الحاج عن تحديد لمكان وقوف الإمام في المحراب و الفائدة من ذلك، و الدور الحقيقي للمحراب بقوله: " السنة الماضية إذا استوى الإمام قائما في المحراب أن يكون قريبا من المأمومين، وقد كان الإمام في السلف رضي الله عنهم يقرب أن تمس ثيابه ثياب المأمومين و ذلك لفوائد: **منها قد يطرأ عليه في صلاته** ما يوجب خروجه منها فلا يحتاج إلى الكلام و لا كثير من عمل الاستخلاف، بل يمد يده

إلى من يستخلفه فيقدمه، **و منها أنه قد يسهو في صلاته** فيسبحون به فلا يسمعهم، فإذا كان قريبا منهم سمعهم في الغالب و تداركوا ما فات ذلك بمسهم أو تنبيههم له عليه فيتدارك إصلاح ما أخل به. **ومنها أن يكون بثوبه نجاسة لم يشعر بها**، فإذا كان قريبا منهم أدركوها فنبهوه عليها إلى غير ذلك. ولم يكن للسلف رضي الله عنهم محرابا و هو من البدع التي أحدثت لكنها مستحسنة، **لأن أكثر الناس إذا دخلوا المسجد لا يعرفون القبلة إلا بالمحراب**، فصارت متعينة لكن يكون المحراب على قدر الحاجة وهم قد زادوا فيه زيادة كثيرة، و الغالب من بعض الأئمة أنهم يصلون داخل المحراب حتى يصير بسبب ذلك على بعد من المأمومين و ذلك خلاف السنة، ثم إنه يخرج بذلك نفسه من الفضيلة لأن باقي المسجد أفضل منه، ألا ترى أن علمائنا رحمهم الله قالوا فيمن أضطر إلى النوم في المسجد، أنه ينام في محرابه لأنه أخف من باقي المسجد. بل لا ينبغي له إذا كان المسجد لا يضيق بالناس أن يدخل إلى المحراب، فإن ضاق بهم فليدخل على الصفة المتقدمة، لأنه **إذا لم يدخل يمسك بوقوفه خارجا عنه موضع صف في المسجد** و هو قد يسع خلقا كثيرا." (الونشريسي،1981،ص.486).

ويمكن استنتاج من هذا الرأي مايلي:

- يفيد في تحديد مكان الإمام عند الصلاة.

- يفيد في توسيع طاقة المسجد بما يقرب من صف من المصلين في الصلاة الجامعة، ليتسع للإمام في ركوعه وسجوده أثناء الصلاة، بحيث لا يشغل مساحة كبيرة يستهلكها هذا الإمام من أصل مساحة المسجد دون أي طائل أو فائدة.

- يساعد على تجميع صوت الإمام وتكبيره، وإيصاله للمصلين الذين يوليهم ظهره أثناء الصلاة.

- والمحراب من المصالح المرسلة التي تبدو لمن لا بصيرة له، كأنها بدع يجب تجنبها و عدم إقرارها، و هو عبارة عن علامة دالة على القبلة؛ إذ لولاها لكان العوام و من لا علم لهم إذا دخل المسجد في وقت لا يوجد غيره يحتار في القبلة، و قد يصلي إلى غيرها، و قد يصبح كل من يدخل المسجد يسأل عن قبلته، لذا اتخذ السلف هذا الطاق في قبلة المسجد للدلالة على القبلة، و ليس هو من العبادات في شيء حتى يقال فيه " بدعة منكرة ".

و عادة ما يحدث خلاف في كيفية تنصيب القبلة، و من ثم مكان المحراب، وهذا ما نجده عادة في المساجد المبكرة، حيث نرى المحاريب تميل إلى اليسار أو إلى اليمين وهذا ما نجده بالمسجد الجامع بالقيروان، (فكري، 1963،ص.56).ولكن هذا الانحراف ما كان ليخرجهم عن توسطهم لحائط القبلة لبيت الصلاة.

و على العموم كان اهتمام العلماء بتحديد جهة القبلة شغلهم الشاغل عند بناء المساجد، و كان ينصب المحراب بالمشورة، و اتفاق العلماء عليه، و من ثم وجب إتباع و تقليد المساجد الكبيرة في تحديد القبلة سئل الشيخ الفقيه قاضي الجماعة و مفتي حضرة غرناطة أبو القاسم بن سراج رحمه الله عن إمام بقطر كبير يؤم الناس بالمسجد الأعظم من ذلك القطر، ينحرف بداخل المحراب لجهة المشرق

انحرافا كثيرا مع أن المحراب على خمسة و أربعين جزءا كما هي أكثر محاريب بمساجد الأندلس، فهل يسوغ ذلك للإمام و يلزم المأمومين إتباعه في ذلك، و ينحرفون معه ؟ أو لا يسوغ ذلك له ؟ فأجاب: " إنه لا ينبغي للإمام أن ينحرف الانحراف المسؤول عنه، لأن المحراب المنصوب بمصر كبير يعلم نصبه باجتماع كثير من الناس و العلماء، وذلك ما يدل على صحته و نصبه بالاجتهاد، و قد نص العلماء رضي الله عنهم أن المحاريب التي بالأقطار الكبار يصح تقليدها...". (الونشريسي،1981،ص.116).

ولما أراد عبد الرحمن بن الحكم تحويل قبلة المسجد الجامع بقرطبة، و قد اتفق من لديه من أهل الحساب، و فيهم أئمة يقتدى بهم، على انحرافها إلى جهة المغرب كثيرا، صرف عن ذلك لاستعظام عامة الناس مخالفة ما درج عليه أسلافهم فأقصر عن ذلك. (الونشريسي،1981،ص.118).

و يذكر الونشريسي كيفية تنصيب قبلة مسجد جامع مدينة مراكش بقوله: " وعندما قدم الموحدون على نصب القبلة بمسجد جامع مدينة بمراكش على وسط الجنوب بتقريب، وجه آخر أيضا مما يدل على صحة الوسط ما ذكره أبو عمر بن عبد البر و ابن العربي، و اللفظ لأبي عمر، عن أحمد بن حنبل أنه قال: هذا المشرق، وأشار بيساره و هذا المغرب، وأشار بيمينه، و هذه القبلة فيما بينها. إلا أنه ينبغي أن يتحرى الوسط"، و قال ابن حسان: " عمله لأمير المؤمنين المنصور بمراكش، وأمر برفعه للخزانة. وهو يتضمن صحة ما عمله الموحدون من نصبهم القبلة بمراكش على وسط الجنوب بتقريب." .

وسئل الونشريسي عن نقل المحراب عن موضعه إذا زيد في المسجد، فأجاب: "... أما نقل المحراب من موضع إلى موضع جديد فلا بأس به بحسب المصلحة، و ما تراه الجماعة في ذلك من الرفق لهم". (الونشريسي،1981،ص.204).

و يقول ابن العربي في محاريب المساجد الكبيرة:"....مساجد الأمصار هي بالاجتهاد، ولكنه يتعاضد الأمر فيها و لا يعلم واضعها، و هي مختلفة في التيامن و التياسر، و إن كانت لم تخرج عن السمت المتعارف مما بين المشرق و المغرب، و قد خط جامع قرطبة ووصل جماعة من الرفقاء الحجاج، كبقي بن مخلد و محمد بن وضاح من أهل الصلاة جماعة ممن حج وروى كيحيى بن يحيى و صلوا القبلة ذاهبين و راجعين بافريقية و مصر و الشام و الحجاز و العراق، فما اعترضوا على جامعها بعيب سمته و لا حرفوا فيه، فالدين عندهم أمتن و العلم أوفر...". (الونشريسي،1981،ص.123).

و يقول ابن رشد: "...و جامع الأندلس و مدرسة العطارين مستقبلة جهة الجنوب بين المشرق و المغرب، و كذا جامع تلمسان، و قد تقدم أنه ليس لأهل المغرب قبلة بين المشرق و المغرب، و إنما قبلتهم في جهة المشرق بين الشمال و الجنوب..." (التافستي،1992،ص.18).

و من خلال ما أفردناه من النصوص الشرعية و آراء المفكرين و علماء الإسلام التي وردت في المحراب و اتجاه القبلة يتضح لنا أن محاريب مساجد مدينة تلمسان متجهة نحو الجنوب الشرقي تقريبا، و يبدوا أنها اتبعت في ذلك موضع و اتجاه محراب مسجد أغدير، ثم محراب الجامع المرابطي بتكرارت على غرار مسجد سيدي أبي الحسن.

أما في مدينة الجزائر فإن محاريب المساجد متجهة نحو الشرق تميل ميلا طفيفا نحو الجنوب الشرقي، و هذا ما نلاحظه في المساجد التي بنيت قبل الفترة العثمانية مثل مسجد سيدي رمضان، و المسجد الجامع المرابطي، و المساجد التي بنيت في ما بعد و التي يبدوا أنها اتخذت من محراب المسجد الجامع المرابطي مقياسا لنصب القبلة، و يبدو أن مسجد على بتشين قد خرج عن هذه القاعدة، حيث نرى محرابه يميل نحو الشمال الشرقي(لم يتغير مكان منذ تأسيسه).

بالإضافة إلى المحراب الذي نجده في بيت الصلاة نجد حنية أخرى في صحن بعض المساجد، و أشتهر على تسميتها بالعنزة.(العوايشة،2002،ص.278)

و نجدها بصحن المسجد الجامع المرابطي، ومسجد سيدي أبي مدين شعيب بالعباد العلوي (لعرج،1999،ص.547)، و مسجد سيدي إبراهيم، و هي من مساجد مدينة تلمسان، و علل ديسو لاماري وظيفة العنزة بأنها مكان يجلس فيه إمام ثاني (مبلغ ثاني) من أجل تبليغ المصلين أيام الجمع ما يقوله الإمام الخطيب.

ولكن التحليل الذي قدمه ديسو لاماري ينتابه الغموض (lamard,1930,p.329)، فلم تذكر المصادر التاريخية أن العنزة جعلت مكانا للمبلغ لتبليغ المصلين ما يردده الإمام من صيغ التكبير و السجود و هذا من طرف إمام ثاني، و ذلك في صلاة الجمعة، و المواسم في المسجد الجامع بالأمصار الكبيرة، فإن كان المبلغ (الذي يقف في أول الصحن لكون العنزة تبنى مقابلة للمحراب في آخر البلاطة التي على الصحن) يسمع صوت الإمام فكيف لا يسمعه المصلون بالصحن ؟.

والثانية أن الفقه الإسلامي لا يجيز هذا العنصر الوظيفي إن كان ما قال ديسو لاماري صحيح للأسباب التالية:

- إن الصلاة الفرد منفردا خلف الصف أو بين الصفوف غير جائزة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم و هو صريح لا ينتابه غموض حيث نرى ذلك واضحا من خلال الحديث الذي رواه علي بن شيبان رضي الله عنه، قال: " خرجنا حق قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، وصلينا خلفه، ثم صلينا وراءه صلاة أخرى، فقضى الصلاة فرأى رجلا فردا يصلي خلف الصف قال: فوقف عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف، قال: **استقبل صلاتك! لا صلاة للذي خلف الصف**." (ابو عبد الرحمان،2001،ص.81)

- إن الكلام أثناء الخطبة (صلاة الجمعة) تبطل الصلاة إلا للإمام الخطيب، و هذا لقول رسول الله عليه الصلاة و السلام: " **إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت و الإمام يخطب، فقد لغوت**"، و هذا الحديث صريح ليس فيه ترخيص بالكلام إلا للإمام .

و لعل ما ذكره ابن أبي زرع في القرطاس أقرب إلى الحقيقة من كل الأقوال، حيث وصف لنا مسجد القرويين بفاس بقوله: "..أما العنزة التي يصلي إليها في زمن الصيف فكانت القديمة من خشب

الأرز، ألواحا ساذجة في أعلاها كتابة، و هي (صنعت هذه العنزة في شهر شعبان المكرم سنة أربع و عشرين و خمسمائة)...".

و حسب ابن أبي زرع يمكن القول أن العنزة ما هي إلا سترة حتى لا يقطع الصلاة من يمر بين العنزة و القبلة، ولعل هذه الوظيفة الحقيقية للعنزة مادامت كتب النوازل لم تتعرض إليها.

5- نماذج من المحاريب في الفترة الوسيطة بالمغرب الأوسط:

تطور شكل المحراب بتطور العمارة والفنون الإسلامية، فأبدعت فيه أشكالا مختلفة تراوحت فيه مابين الشكل النصف الدائري و الشكل المضلع (bourouiba,p.78). وحسب الأستاذ بورويبة، فإن المرابطين هم الأكثر استعمال المحاريب ذات الأشكال المضلعة، وذلك في كل مساجد تلمسان التي تنتمي إلى الفترة المرابطية والزيانية والمرينية، بغض النظر عن تفاوت أحجامها، وأقدم محراب مضلع الشكل في الجزائر هو محراب الجامع الكبير بتلمسان 530هـ / 1136 م، كما أنه يرى بأن هذا التجويف المضلع في مساجد الغرب الجزائرية بصفة خاصة هو تأثير من مسجد قرطبة.(موشموش،2009،ص.193)

الخاتمة:

وفي ختام هذه المقالة التي تناولت موضوع المحاريب في المغرب الأوسط في الفترة الوسيطة يمكننا القول إن الحضارة الإسلامية بلغت أوج تطورها خاصة في مجال العمارة وذلك حينما أحدثت ذلك التكامل بين الجانب الوظيفي والجانب الجمالي دون إهمال الجانب البيئي وتعاليم وتوجيه هذه الشرع في ذلك ،ونظرا لتعلق المسلم بدينه وبكل مقدساته كان ذلك سببا كافيا للاهتمام بالمسجد وبكل العناصر المعمارية المكونة له فنجده قد عمل على إنشائها والإبداع فيها فكان التركيز الأول على المحراب لأنه يتصدر بيت الصلاة ومنه ينطلق الإمام والحليفة في إمامة الناس، ولقدسية المحراب رغم الاختلاف الحاصل في شكله أو حجمه أحيانا بسبب بعض التأثيرات المختلفة لكنه يبقى ذا مكانة مهمة في نفوس المسلمين وهذا ما لاحظناه في المساجد المرابطية والزيانية والمرينية في الجزائرعبر في الفترة الوسيطة ،ويبقى موضوع المحاريب في العمارة الدينية من أهم المواضيع المهمة التي تثير انتباه الدارسين والباحثين في مجال العمارة الإسلامية لارتباطها بأهم ركن من أركان الإسلام وهو الصلاة.

قائمة المراجع والمصادر:

1) ابن كثير إسماعيل الدمشقي(2009)، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر.
2) ابن كثير، المصدر السابق، ج3.
3) ابن منظور جمال الدين(2003)، **لسان العرب**، تحقيق عامر احمد حيدر، ط1، ج1-ج11، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
4) أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (1981)، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس و المغرب**، أخرجه: محمد حجي و آخرون، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب.
5) أحمد فكري(1963)، **مسجد القيروان**، مطبعة المعارف، مصر.

6) البكري (1857) ، **كتاب المسالك و ممالك**، تحقيق: ديسلان، الجزائر.
7) بن عودة حسين العوايشة(2002) ، **الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب و السنة المطهرة**، ط1، ج2، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، عمان، الأردن .
8) جلال الدين السيوطي(1990)، **إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب**، دراسة و تحقيق: عماد طه فرة، ط2، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
9) حسين مؤنس(1981)، **المساجد**، عالم المعرفة، الكويت.
10) حسين مؤنس، المرجع السابق.
11) سورة أل عمران، الآية، 37.
12) سورة أل عمران، الآية، 39.
13) سورة ص، الآية 21، 22.
14) سورة مريم الآية 11.
15) السيوطي، المصدر السابق.
16) عبد الله إبن إبراهيم الزرهوني التافستي (1992)، **رحلة الوافد**، تحقيق: صديقي عازيكو، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
17) فريد الشافعي(1970)، **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، القاهرة.
18) لعرج عبد العزيز(1999)، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**، دراسة أثرية معمارية، و الفنية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر.
19) محمد السعيد الطريحي(1986)، **العتاب المقدسة في الكوفة**، ط2، دار الكتب للمطبوعات، لبنان.
20) محمد موشموش(2009)، **مساجد مدينة التنس**، مذكرة شهادة الماجستير، جامعة الجزائر.
21) محمود أبو عبد الرحمن(2001) ، **أحكام صلاة المسبوق في السنن و الآثار**، دار المصحف الشريف الجزائر.
22) المقدسي شمس الدين (ت.990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، 1877م.
23) الونشريسي ، ج7، ص204.
24) الونشريسي، المصدر السابق ، ج1.
25) الونشريسي، المصدر السابق ، ج1، .
26) الونشريسي، المصدر السابق، ج1.
27) Bourouiba,r (s.d). **Apports de L'Algérie a l'architecture religieuse arabo- islamique**, Entreprise national du livre et office des publications universitaires, Alger.
28) Dessus Lamar,(1930), La Anaza, **5eme congrès international d'archéologie** Alger
29) Sabag ,P.(1963), **La grande mosquée de Kairouan**, Delphale .